قصدية الحذف في تفسير معارج التفكر ودقائق التدبر لعبد الرحمن الميداني

الباحث : قاسم حميد عبد

ملخص : يقوم هذا البحث على القصد في ظاهرة الحذف في تفسير (معارج التفكر ودقائق التدبر) للمفسر عبدالرحمن بن حبنكة ، من خلال الممارسة التأويلية في القصدية ، ومعالجة الأدلة والأسباب التي دعت إلى هذا الحذف في القرآن الكريم ، كذلك يتطرق البحث إلى الإيجاز بالحذف الذي يذكره المفسر في أغلب السور المكية التي تناولها في تفسيره ، وخاصةً في سورتي (الأعراف والشعراء) ، وأيضا يتكلم عن التضمين كجزء من الحذف وقصده ، ومن ثم يتطرق إلى الحذف عند المتكلم والمتلقي ، وموضوع الذكر والحذف لألفاظ وحروف في القرآن كان لها أثر في قصدية كل منها .

Abstract:

This research is based on the intent of the phenomenon of deletion in the interpretation of (Marij Altafaqr Wa Daqaiq Altadabr) by the interpreter (Abdul Rahman bin Habanka) , Through the hermeneutic practice of intentionality , and the treatment of the evidence and the reasons that called for this deletion in the Holy Qur'an. , especially in the two surahs (Al-A'raf and Al-Shuara), and also talks about the inclusion as part of the deletion and its intent, and then deals with the deletion of the speaker and the recipient, and the subject of dhikr and deletion of words and letters in the Qur'an that had an impact on the intentionality of each of them .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه الغر المنتجبين . أما بعد :

للقصد في كتب اللغة أنماط عدة ، لأنه يمسّ المعنى بصورة مباشرة وله علاقة بالدلالة والتداولية والتأويل في أكثر من جانب ، ومن ضمن ما يتناوله في تأويلاته الحذف ، فللحذف في هذا الموضوع مكاناً مهماً ، لأن التفسير فيه الكثير من الإشارات للحذف في القرآن .

قسّم الباحث هذا البحث إلى تمهيد وثلاث مباحث ، في التمهيد حاول أن يُعرّف بالقصد والحذف لغةً واصطلاحاً ، وبعدها تعريف بحياة المفسر عبدالرحمن بن حبنكة ونشأته واهم مؤلفاته التي ألفها في الدين والعقيدة ، وخاصة تفسيره (معارج التفكر ودقائق التدبر) وكيف قسمه إلى (١٥) مجلداً ، متناولاً فيه السور المكية بحسب ترتيب النزول وليس بحسب ترتيب المصحف الذي بين يدينا حالياً ، وهي نقطة تحسب له على هذا ، لمعرفة الترتيب التربوي في القرآن في ترتيب نزوله حسب ما يراه من فائدة في ذلك .

ثم يتناول الباحث المباحث ، ففي المبحث الأول : يذكر قصدية الحذف التي طرحها المفسر في تفسيره خلال السور والآيات التي عالجها ، وأفضل ما قدمه المفسر هو الإيجاز بالحذف الذي ذكره بكثرة في تفسيره لأهميته بحسب قوله ، وحاولنا ذكر سبب الحذف والدليل الذي من أجله تم الحذف في الآية الكريمة ، والقصد الذي ذكره المفسر ، وتوصل له الباحث في ذلك .

أما المبحث الثاني : فيتناول سورتي الأعراف والشعراء ، لكثرة ما ذكره المفسر من (محذوفات) في هاتين السورتين ، وتعرفنا من خلالهما على الحذف وقصده في بعض الآيات التي ذكرها المفسر وسبب الحذف والأدلة التي قدمها المفسر ، والباحث في ذلك . وضمنّا كذلك موضوع التضمين الذي ذكره المفسر في كثير من الصفحات في تفسيره ، وهو تضمين الكلمة معنى كلمة أخرى ، وتعديتها بالطريقة التي تعدى بها الكلمة غير المصرَّح بها لفظاً ، وبهذا التضمين تُغني الجملة الواحدة عن الجملتين ، وعلاقة ذلك بالحذف وقصده .

وفي المبحث الثالث : تناول الباحث علاقة الحذف بقصد المتكلم والمتلقي ، وكيف يكون الفهم بينهما ومعرفة القصد الذي جاء بالحذف في هذا الموضع من كلام المتكلم وطريقة فهم المتلقي لقصده . وبعد ذلك ذكرنا جانباً مهماً في الحذف وهو الذكر والحذف ، لأن هناك

مواضع في القرآن يذكر فيها لفظ ، ويحذف في مواضع أخرى ، وتأثير ذلك في القصد القرآني عند الذكر أو الحذف ، والجمال البلاغي والقصدي واللفظي في القرآن الكريم .

التمهيد

بما أننا ندرس القصد في الحذف وفي تفسير معارج التفكر ودقائق التدبر للمفسر عبدالرحمن بن حبنكة ، فلا بدّ لنا من تعريف بالقصد والحذف ، وبعض جوانب حياة المفسر .

القصد لغةً : القصد : استقامة الطريق ، قصد يقصد قصداً ، فهو قاصد . والقصد : العدل ، القاصد : القريب ، والقصيد من الشعر ما تمّ شطر أبياته . قال ابن جني : أصل (ق ص د) ومواقعها في كلام العرب الاعتزام والتوجه والنهوض نحو الشيء ، على اعتدال كان أو جور[١] .

القصد اصطلاحاً : هناك أكثر من تعريف للقصد في الدراسات ، لعدم تحديد مصطلح واضح له ، منها : في الفينومنولوجيا هي : الموقف المكون للفكر على أنه يكون له محتوى ، والتوجه بالضرورة إلى موضوع [٢] . في الفلسفة هي : اتجاه الذهن نحو موضوع معين ، وإدراكه له [٣] .

الحذف لغةً : حذف الشيء يحذفه حذفاً : قطعه من طرفه ، والحذافة : ما حذف من شيء فطرح . وحذف الشيء إسقاطه [٤] .

الحذف اصطلاحاً : هو ما اقتطع من الكلام لسبب أو دليل وكان أفضل من ذكره في ذلك ، وقد ذكره الجرجاني بوصفه له : (هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسِّحر، فإنّك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تَنطق، وأتمّ ما تكون بيانًا إنْ لم تُبن)[٥] . أو هو إسقاط جزء من الكلام ، أو كله لدليل يدل عليه ، وللحذف أسباب وشروط وأدلة .

المفسر : هو الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن مرزوق بن عرابي بن غُنيم حبنّكة الميداني ، وُلِدَ رحمه الله في العشرينيات من القرن الماضي (عام ١٣٤٥ هـ/ ١٩٢٧ م) في

---

(١) لسان العرب ، ج٤٠ ص٣٦٢-٣٦٤ .
(٢) ينظر : الفينومنلوجيا عند هوسرل ، رافع سامح ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩١م ، ص١٣٤ .
(٣) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مجدي وهبة وكامل المهندس ، ص٢٨٨ .
(٤) المصدر السابق ، ج١٠ ص٨١٠-٨١١ .
(٥) دلائل الإعجاز ، ص١٤٦ .

حي الميدان بدمشق ، نشأ رحمه الله في بيت جده مرزوق وعاش في كنفه إلى أن جمع الله شمل أبيه بالعائلة بعد أن كان لاجئاً في الأردن بعد توقف الثورة السورية[١] . درس الشيخ ونشأ في أسرة محبة للعلم والعلماء ، وأبوه مجاهد من مجاهدي الثورة السورية ، لازم الشيخ العلماء وأخذ عنهم علم اللغة والفقه والأصول والعقيدة وغيرها من العلوم ، وكان حاضر الذهن متقد الذكاء جريئاً في الحق صلباً في مواقفه [٢].أما أُمه فهي السيدة نظمية بنت إبراهيم السودان ، لقبت من البعض بـ(ست الشام وأم الطلبة) ، كانت تقدم الخدمة لطلاب العلم وتساعدهم[٣] . نشأ الشيخ عبدالرحمن في رعاية والده ولازمه كأول شيخ يتعلم منه مع الدعاة وطلاب العلم ، بدأ في (مدرسة وقاية الأبناء الابتدائية) ، ثم التحق بمعهد (التوجيه الإسلامي) الذي أسسه والده وتخرج منه ، وفي ظلال البيت وهذا المعهد تتركز نشأته الخُلقية والفكرية ، وتتحدد منطلقاته الأساسية في إطار الاتجاه الإسلامي الأصيل [٤] . وأكمل دراسته في الأزهر ، ثم رحل إلى السعودية وعين مدرساً في الجامعة وقضى حياته هناك حتى مماته ألف كثيراً من الكتب ، أهمها تفسيره (معارج التفكر ودقائق التدبر) أضافة إلى مؤلفات في الدين والعقيدة ، توفي سنة (١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م) ودفن في مقبرة الجورة في الميدان مسقط رأسه [٥] .

تفسيره : يعتمد تفسير "معارج التفكّر ودقائق التّدبّر" على تفسير القرآن الكريم بحسب ترتيب نزول السور ، وليس بحسب ترتيبها في المصحف ، وقد ذكر الشيخ الميداني سبب اختياره لهذا الترتيب بقوله : ((وقد رأيت بالتدبر الميداني للسور أن ما ذكره المختصون بعلوم القرآن الكريم من ترتيب النزول ، هو في معظمه حق ، أخذاً من تسلسل المعرفي التكاملي التربوي ، واكتشفت في هذا التدبر أموراً جليلةً تتعلق بحركة البناء المعرفي لأمور الدين ، وحركة المعالجات التربوية الربانية للرسول – (صلى الله عليه [و آله] وسلم) – ، وللذين آمنوا به واتبعوه ، وللذين لم يستجيبوا لدعوة الرسول مترددين أو مكذبين كافرين)) [٦] . وقد استند الشيخ الميداني في تفسيره على كتابه الذي ألفه في تدبر القرآن الكريم والذي أسماه "قواعد التدبر الأمثل للقرآن الكريم" الذي ذكر فيه أربعين قاعدة من فكره لتدبر القرآن الكريم ، وقد حاول تطبيق هذه القواعد على تفسيره ، ويقع تفسير "معارج التفكر ودقائق التدبر" في خمسة عشر مجلداً ، وقد صدر عن دار القلم للطباعة في دمشق في خمس مجموعات ، قسّم السور

---

(١) الشيخ عبدالرحمن بن حبنكة الميداني – من أعلام المفسرين في العصر الحاضر ، مقالة لمجد مكي عن رابطة العلماء السوريين في ٢٠١٣/٥/٥ . الرابط : https://islamsyria.com/site/show_cvs/14

(٢) ينظر : المصدر السابق .

(٣) ينظر : عبدالرحمن بن حبنكة العالم المفسر : زوجي كما عرفته ، عائدة راغب ، دار القلم ، دمشق ، ط١ ، ١٤٢٢هـ ، ص١١.

(٤) ينظر : علماء ومفكرون عرفتهم ، محمد المجدوب ، دار الشواف ، الرياض ط٤ ، ١٩٩٢ ، ج٣ص٥٩ .

(٥) الشيخ عبدالرحمن بن حبنكة الميداني – من أعلام المفسرين في العصر الحاضر ، مقالة لمجد مكي عن رابطة العلماء السوريين في ٢٠١٣/٥/٥ . الرابط : https://islamsyria.com/site/show_cvs/14 .

(٦) معارج التفكر ودقائق التدبر ، عبدالرحمن حبنكة الميداني ، دار القلم – دمشق ، ط١ ، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م ، ج١ ص٥ .

القرآنية إلى مباحث في التدبر التحليلي وشرح ومناقشة وملاحق بلاغية ونظرات إجمالية عامة للسور والآيات ، وبحث نزول السورة أو الآية ومناسبتها ، كذلك تناول ما جاء في السّنة الشريفة من أقوال وأحاديث حول السور وتسمياتها وموضوعاتها ، وأهتم كثيراً بالقراءات القرآنية .

المبحث الأول :

قصدية الحذف

وهي المستوى الثاني من مستويات الممارسة التأويلية التي نحاول أن نتصفح بعض ما ذكره الشيخ ابن حبنكة في الحذف ، وما كانت تصوراته القصدية في هذا الجانب .

والحذف من أوضح الظواهر في اللغة العربية وأكثرها تداولاً بين اللغويين ، والنّحاة انطلقوا في ظاهرة الحذف من قاعدة أساسها أنّ التركيب اللغويّ لابدّ له من طرفين أساسيين همّا المسند والمسند إليه ، فإذا استغنى المتكلّم عن أحدهما قُدّر محذوفاً لتتمّ به الفائدة أو الجملة[١] .

فهي ظاهرة ترتبط كثيراً بالمستويات اللغويّة كالمستوى التركيبي والمستوى الدلالي ، ولا يمكن إقامة هذين المستويين في الجملة دون تقدير ما هو محذوف وردّه إلى مكانه على ضوء ما تمّ وضعه من قواعد وقوانين[٢] .

وفيه قال عبد القاهر الجرجاني : ((هو بابٌ دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيهٌ بالسحر، فإنّك ترى به تركَ الذكر أفصحَ من الذكر، والصمتَ عن الإفادة أزيدَ للإفادة، وتجدُك أنطقَ ما تكون إذا لم تنطق، وأتمَّ ما تكون بياناً إذا لم تُبِنْ))[٣]. أي أن هناك مواضع يكون فيها الحذف افضل من الذكر على حد تعبيره . وهناك تقسيم للحذف يمكن الأخذ به على أساس دراستنا لتفسير القرآن الكريم ، ويقسم الحذف إلى نوعين هما : [٤]

---

(١) ينظر : الحذف في اللغة العربية بين النحاة و البلاغيين ، احلام علي و عبود محمد مهدي ، بحث في مجلة العلوم الإنسانية ، مجلد ١٨ (٣) ٢٠١٧ .

(٢) قضايا التقدير النحويّ بين القدماء والمحدثين ، محمود سليمان ، ٢٠٩ .

(٣) دلائل الإعجاز ، ص١٤٦ .

(٤) ينظر : الحذف رؤية قرآنية ، د.احمد رسن صحن ، جامعة البصرة –كلية الآداب ، مجلة آداب البصرة ، العدد (٦١) ، ٢٠١٢ .

١-**الحذف القياسي** : هو الحذف الذي يدخل في دائرة اللغة ، ويعتمد في تقديره على النظام النحوي ، إذ تكون القاعدة أساساً في التحولات التي تطرأ على مكونات التركيب ، ومنها : حذف المبتدأ وحذف الفعل ، وحذف المضاف أو المضاف إليه أو المفعول به أو المصدر .

٢-**الحذف التفسيري** : وهو الحذف الذي يدخل في دائرة السياق التفسيري أو المعنى العام ولا يرتبط بالقاعدة النحوية ، إذ يستعمل المفسر مجموعة من الألفاظ ليست من القرآن ، وإنما هي من ثقافة المفسر اللغوية لإظهار براعته في كشف المعنى وإيصاله إلى ذهن المتلقي ، ويتجلى هذا الحذف في استرجاع سياق النص القصصي المحذوف في القرآن الكريم أكثر مما سواه . وهذا ما اعتمد عليه ابن حبنكة في تفسيره معارج التفكر ودقائق التدبر وأقصد كلا النوعين ؛ لأنه تارة يستخدم الحذف القياسي في الآيات وتارة يستخدم الحذف التفسيري ، بحسب ما يتطلبه الأمر .

إنّ للحذف أثراً كبيراً في فهم القصد القرآني وتفسيره ، وهو لا يؤدي إلى النقص أو الخلل ، بل إنه يجعل التعبير القرآني أبلغ من حيث الدلالة ، وهو جزء من التفاعل التواصلي بين المتكلم والمتلقي ، فلا يستطيع المتكلم حذف أي من مفردات النص إلا اذا كان هناك تصور مسبق عند المتلقي ، مما يؤثر على ترابط النص وفهم المتلقي [١] . وكثيراً ما يرى الباحث أنّ الشيخ المفسر ابن حبنكة يكرر مصطلح (الإيجاز بالحذف) والذي سنتناوله بدءاً .

قصدية الحذف في (الإيجاز)

ونرى الشيخ يؤكد على المحذوفات من بناء الكلام بقوله : ((بناء الكلام على محذوفات في اللفظ ومطويات تقتضيها المذكورات ، ويستطيع المتدبر أن يُدركها ذهناً ، وهذا من بدائع الإيجاز في القرآن))[٢] . ومما ذكره ابن حبنكة في تفسيره (إيجاز الحذف) بقوله : ((الذي يكون قصر الكلام فيه بسبب استخدام حذف بعض الكلام اكتفاءً بدلالة القرائن على ما حذف)) [٣] ، نجد في سورة يونس حواراً بين موسى عليه السلام وفرعون وملئه :﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ۞ قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴾[٤] . أي : ﴿ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ﴾ هذا سحر . حذف في النص قولهم : (هذا سحر) إيجازاً ، وقد دلّ على المحذوف قوله لهم : ﴿ أَسِحْرٌ هَٰذَا﴾ وظاهر انه ليس من العسير على متدبر النص استخراج هذا المطوي في النص ، فالقرينة الدالة عليه واضحة جلية

---

(١) القصد بين النظرية والتطبيق في ضوء علم اللغة النصي ، شاذلي سيد عبدالرحمن ، رسالة ماجستير ، كلية الاداب / جنوب الوادي ،ص١٧٩.
(٢) معارج التفكر ، مج١ص٥٠٦ .
(٣) معارج التفكر ، مج١٠ ص٢٦٩ .
(٤) يونس : الآيات ٧٦-٧٧ .

، لا تحتاج تأملاً طويلاً [١] . أي أن هناك دلالة للحذف وقصد يفهم من الذي قبله أو بعده في الآية الكريمة إذ ((ينبغي أن يقدر المقدر من لفظ الملفوظ إذا أمكن))[٢] . ويلخص المفسر القصد في هذا النوع من الحذف بقوله : ((وما كان يظفر به موسى وهارون ولو كان ما جاءا به سحراً ما أفلحا ، إذ لا يفلح الساحرون ، مهما أحكموا وسائلهم ، دلّ على هذا قول موسى لهم : ﴿... وَلاَ يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُونَ﴾ [٣] ، وهذا الدليل يسوقه إلينا المفسر على هذا القصد من الحذف . ولا يرى الباحث أنّ لهذا الحذف أهمية كبرى ؛ لأنه وباعتراف المفسر واضح لا يحتاج إلى تأمل طويل أو تدبر لوجود القرائن الواضحة في داخل النص .

وفي قوله تعالى : ﴿ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾[٤] ، يذكر مفسرنا ابن حبنكة ، أي : حرف الجر (عن) هنا في هذه العبارة يدل على العامل المحذوف الذي يقتضيه المعنى ، أي : حباً ناشئاً أو صادراً عن ذكر ربي . أو حمله على السببية فيكون لأجل ذكري لربي أو لأجل القيام بواجبات ذكري لربي [٥]. ﴿ حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾ أي : حتى توارت أرتال الخيل بالحجاب ، توارت : أي : استترت ، بالحجاب : هو الشيء الساتر أياً كان ، ويطلق الحجاب على ما أشرف من الجبل . والمعنى : كان تواريها بسبب الحجاب الساتر ، لا بسبب البعد الزائد الذي تختفي فيه الأشخاص عن الأعين [٦]، أما في تفسير القرطبي فقد فسر ﴿ حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾ ، يعني الشمس ، أي : حتى توارت الشمس بالحجاب [٧] ، ويعني أن سليمان عليه السلام لم يؤدِ فرض الصلاة بسبب استعراض الخيل حتى توارت الشمس بالحجاب ! . واعترض الشيخ ابن حبنكة على هذا التأويل بقوله : ((إنّه لأمر مستنكر أن يورد بعض أهل التأويل هذا الوجه الذي لا دليل عليه))[٨] ، ثم يذكر لنا الشيخ القصد من هذا الحذف بقوله : ((أي : إن حبّه للخيل هو من نوع حبه للخير ، وهو الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمته ، لا من نوع حب زينة الحياة الدنيا ، كالتفاخر ، والتباهي ، وابتغاء العلو في الأرض))[٩] ، فيسوق لنا الشيخ هذا القصد الذي نقله عن سليمان عليه السلام ، وسبب الحذف في الآية الكريمة . ويرى الباحث أنه أجاد في التوضيح وتبيان قصد الحذف الموجود فيها .

---

(١) معارج التفكر ، مج١٠ ص٢٦٩ .
(٢) الحذف والتقدير في النحو العربي ، علي ابو المكارم ، ص٢٠٧ .
(٣) معارج التفكر ، مج١٠ ص٢١١ .
(٤) ص : آية ٣٢ .
(٥) معارج التفكر ، مج٣، ص٥٦٢ .
(٦) المصدر نفسه .
(٧) تفسير القرطبي ، ٤٣٣/٢١ .
(٨) معارج التفكر ، مج٣ص٥٦١ .
(٩) المصدر نفسه .

ويطالعنا الشيخ ابن حبنّكة بمصطلح سماه بـ(المحاذيف المطوية) في المثاني ، التي تدل عليها دلالات لفظية أو فكرية [١] . ومنها في سورة يوسف ، يقول الشيخ ابن حبنّكة : ((ومن النصوص التي توجد فيها محاذيف في مثانيها في هذه السورة ... ، قول الله عز وجل حكاية لقول "يعقوب = إسرائيل" لابنه (يوسف) عليهما السلام : ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[٢] ، فعل (كاد ، يكيد) يتعدى بنفسه ، يقال لغة : (كاده ، يكيده) ولكن ضُمِّنَ في الآية فعل (يكيد) معنى فعل (يتعدى) بحرف (اللام) مثل (يسدد) . فالمعنى [القصد] : فيكيدونك مُسددين لك سهم ضُرٍّ أو أذى)) [٣] . أي : انه حذف في القصد (المعنى) مسددين لك سهم ضرّ من الأذى بـ(الحسد) ، وهي الآفة التي ابتلاها الله لعبده يعقوب عليه السلام ، وهي حسد إخوته ليوسف عليه السلام ؛ لكثرة اهتمام أبيه به على مرأى من إخوته ؛ لأنه يعلم أن به امتداد النبوة والرسالة الإلهية . فالقصد الذي يلحظه الباحث بقول الشيخ : ((... فيكيدونك مسددين لك سهم ضُرٍ أو أذى)) وهو كافٍ لإظهار حسد إخوة يوسف له ، والسبب المكيدة من الشيطان ، والدليل حسد إخوته ، والقصد كما أسلفنا أنهم أضمروا له الحسد والحقد .

ويكمل في موضع آخر قوله في السورة نفسها : ((قول الله عز وجل يحكي قصة ذهاب إخوة يوسف به إلى المراعي : ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[٤] : جواب (لمَّا) الحينية مطويٌ محذوف من اللفظ ، ومن السهل إدراكه وملاحظته ذهناً ، والتقدير نفذوا مكيدتهم التي اجمعوا عليها ، فوضعوه في غيابة الجب ، ليلتقطه بعض السيارة حينما يريدون استخراج ماءٍ منه))[٥] . فالحذف في جواب (لما) الحينية (أي نفذوا مكيدتهم) ، والسبب في وقوع الحذف لفهمه من سياق النص ، ووجود القرائن السابقة له بقول يعقوب عليه السلام ﴿ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ﴾ ، فالقصد في هذه المحذوفات المطوية ، هو التدبير الإلهي للنبي يوسف عليه السلام وما يؤول إليه الأمر بعد حين ، والدليل الآية اللاحقة والتي بينت كيف وهب الله ليوسف عليه السلام تأويل أو تفسير الرؤيا ، وكما قال الشيخ ابن حبنكة من السهل إدراكه وملاحظته ذهناً .

ومن الحذف لديه تعليقه على (البسملة) بعد أن عالج الوجوه البلاغية لها ، قوله : ((وفيها الإيجاز بحذف العامل ليعم ، ولتكون الجملة صالحة لبداية كل أمرٍ ذي بالٍ بها ،

---

(١) ينظر : معارج التفكر ، مج١٠ ص٧٦٢ .
(٢) يوسف : آية ٥ .
(٣) معارج التفكر ، مج١٠ ص٧٦٢ .
(٤) يوسف : آية ١٥ .
(٥) معارج التفكر ، مج١٠ ص٧٦٤ .

ويقدر لكل أمرٍ ما يناسبه))[١] ، ويعد الشيخ القصد في الحذف على تقدير العامل في (بسم الله) فعلاً متأخراً ... ومن أغراضه إفادة القصر والاختصاص ، ويكمل الشيخ هذا المعنى بقوله : ((إذ الكلام إجمال لقول القائل : لا أبتدئ مستعيناً إلا بالله لأنه هو الرحمن الرحيم ... وهو ما يسمى عند البلاغيين :"المذهب الكلامي" وهو أن يساق المعنى [القصد] مقترناً بدليله))[٢] . فالحذف في العامل ، والسبب القصر والاختصاص ، والدليل أن السور كلها تبدأ بالبسملة ، و كذلك قول رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم) : ((كل أمرٍ ذي بالٍ لم يُبدأ فيه باسم الله فهو أبتر))[٣] ، والقصد ليعم وتكون البسملة صالحة لكل بداية.

وفي السورة (الفجر) قوله تعالى : ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[٤] يذكر الشيخ ابن حبنكة ، ((أي : وجاء ربك الخالق البارئ المصور المهيمن بصفات ربوبيته مجيئاً يليق بجلاله وعظيم سلطانه)) [٥] ، بينما يفسره بعض المفسرين ومنهم الطبرسي والزمخشري في ضوء رؤيتهم ، بأن الفعل (جاء) مرتبط بالبعد الحسي ، فاضطروا إلى تقدير محذوف ، بتقدير (جاء امر الله وقضاؤه ومحاسبته) أو (هو تمثيل لظهور آيات اقتداره وتبين آثار قهره وسلطانه) ، أي انهم قدروا الكلام لمحذوف من خلال قصد التمثيل وليس الحقيقة [٦].

ومثله قوله تعالى في سورة الضحى : ﴿وَمَا قَلَىٰ﴾ وفي ﴿فَهَدَىٰ﴾ وفي ﴿فَأَغْنَىٰ﴾ ، وفيها إيجاز بحذف ضمير الخطاب ، كما يذكر الشيخ ابن حبنكة ، مع مراعاة التناظر في رؤوس الآيات في السورة ، ويقول : ((هذا من الزينات اللفظية المحببة)) [٧] ، وأصل الكلام قبل الحذف (وما قلاك) و (فهداك) و (فأغناك) ، فحذف ضمير الخطاب بقصد مراعاة تناظر فواصل الآيات لأنها تنتهي بحرف الألف المقصورة (ى) في (ضحى ، سجى ، هدى ، الأولى ، ترضى ، فأوى) . وفي هذه السورة أراد الله سبحانه وتعالى أن ينصر رسوله محمد (صلى الله عليه و آله وسلم) على من زعم من الكافرين بأنه قلاه وودعه دون رجعة ، لأن الوحي أنقطع عنه مدة من الزمن ، فجاءت هذه السورة المباركة رداً على المشركين . ويرى الباحث في هذا النوع من الحذف جمالية رائعة تنساب على الألسن بقراءة هذه السورة من خلال تناظر فواصل الآيات فيها ، ولو قُدِمِ فعل (ودّعك) لما تناسبت الفواصل وتناظرت . وقد ذكر الشيخ ذلك لحكمتين ((الأولى : أن الفعل (قلى) ملائم لرؤوس الآيات في السورة دون فعل (ودّع) .

---

(١) معارج التفكر ، مج١ ص٢٨ .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) تفسير الميزان ، ج١ص١٦ .
(٤) الفجر : آية ٢٢ .
(٥) معارج التفكر ، مج١ ص٥٤١ .
(٦) ينظر : مجمع البيان ، الطبرسي ، ج١٠ص٣٩٩ ، و الكشاف ، الزمخشري ، ج٤ص٥٦٥ ، والحذف رؤية قرآنية ، مجلة اداب البصرة ، العدد(٦١) ، ص٦ .
(٧) معارج التفكر ، مج١ ص٥٨٠ .

والثانيــة : أن انتشــار شــائعة أن ربَّ محمد[(صــلى الله عليــه و آلــه وسـلم)] ودّعــه قـد كـان أكثـر مـن انتشـار أنـه قـلاه ، فاسـتدعى هـذا مـن البيـان تقـديم نفـي مـا هـو أوسـع انتشـاراً ، علـى نفـي المقولــة الأخــرى التــي كــان انتشــارها قلــيلاً ، والله أعلــم))[١] . والباحــث يؤيــد هــذه التقدمــة التــي طرحهـا المفسـر لتوافقهـا مـع أسـباب نزولهـا التـي ذكرهـا لنـا فـي بدايـة تفسـير هـذه السـورة . بـأن امـرأة (يقـال إنهـا أم جميـل امـرأة أبـي لهـب) قـد رأت النبـي (صـلى الله عليـه و آلـه وسـلم) وهـو مـريض والـوحي لـم ينـزل عليـه لليلتـين أو ثـلاث ، فقالـت : مـا أرى شـيطانك إلا قـلاك ، فنزلـت السـورة المباركـة لـدحض افتـراء المشـركين ، وهـذه روايـة مـن روايـات عـدة نزلـت لتشـير إلـى نفـس السـبب[٢] . فالحـذف فـي ضـمير الخطـاب (الكـاف) فـي (قلـى) ، والسـبب تنـاظر الفواصـل فـي الآيـات السـابقة واللاحقـة ، والـدليل الفواصـل تنتهـي بحـرف (الألـف المقصـورة) ، والقصـد منـه مراعاة التناظر في الآيات .

ويتنـاول الشـيخ ابـن حبنكـة سـورة فـاطر فيشـير إلـى الإيجـاز بالحـذف فـي مواضـع عـدة مـن السـورة الكريمـة ومنهـا قولـه تعـالى : ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾[٣] ، والإيجـاز فـي هـذه العبـارة هـو مـن نـوع الإيجـاز بالحـذف ، ويمكـن تقـدير المحـذوف بعبـارة : كمـن لـم يـزين لـه سـوء عملـه ، بـل رأى سـبيل الهـدى فاتبعـه . وهـذا الحـذف فـي الآيـة يـدل عليـه عـدم ذكـر فاعـل الفعـل (زُيّـن) وهـو مبنـي للمجهـول ، وبالتـدبر كمـا يقـول الشـيخ المفسـر نـدرك أن فاعلـه الشـيطان والـنفس الأمـارة بالسـوء[٤] وهـو سـبب الحـذف ، والـدليل سـوء العمـل مـن الشـيطان ، والقصـد الـنفس الأمـارة بالسوء التي زينت سوء العمل .

وفـي قولـه تعـالى : ﴿ وَمَـا تَحْمِـلُ مِـنْ أُنثَـىٰ وَلَا تَضَـعُ إِلَّا بِعِلْمِـهِ وَمَـا يُعَمَّـرُ مِـن مُّعَمَّـرٍ وَلَا يُـنقَصُ مِـنْ عُمُـرِهِ إِلَّا فِـي كِتَـابٍ ﴾[٥] ، ففـي عبـارة ﴿إِلَّا فِـي كِتَـابٍ﴾ إيجـاز هـو مـن نـوع الإيجـاز بالحـذف ، الـذي يسـهل اسـتخراجه ، أي : إلا هـو مـدون ومسـجل فـي كتـاب . فالحـذف قبـل كلمـة كتـاب ، والسـبب ، علـم الله الواسـع ، والـدليل أنـه مسـجل فـي كتـاب ، والقصـد أن عمليـات الخلـق الرباني مقترنة بعلمه الشامل لكل صغيرة وكبيرة في الوجود كله[٦] .

وفـي قولـه تعـالى : ﴿ لِيُـوَفِّيَهُمْ أُجُـورَهُمْ وَيَزِيـدَهُم مِّـن فَضْـلِهِ إِنَّـهُ غَفُـورٌ شَـكُورٌ﴾[٧] ، فـي هـذا البيـان إيجـاز هـو مـن نـوع الإيجـاز بالحـذف ، والتقـدير : يعملـون أعمـالهم الصـالحات ابتغـاء

---

(١) معارج التفكر ، مج١ ص٥٦٣ .
(٢) ينظر : معارج التفكر ، مج١ ص٥٥٦ .
(٣) فاطر : آية ٨ .
(٤) ينظر : معارج التفكر ، مج٧ ص٥٧ .
(٥) فاطر : آية ١١ .
(٦) ينظر : معارج التفكر ، مج٧ ص٨٠ .
(٧) فاطر : آية ٣٠ .

مرضاة الله ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله ، وقد جاء هذا البيان في معرض الحديث عن المؤمنين الذين يتلون كتاب الله ويقيمون الصلاة ومما رزقهم الله ينفقون[١] ، أن الله عز وجل سوف يزيدهم زيادات لا تخطر على بالهم وينجز لهم وعده في أجورهم بما عملوا من الصالحات[٢] . فالحذف لمن يوفهم الله أجورهم ، والسبب أنهم معروفون بأعمالهم الصالحة التي يجزيها الله بفضله ، والدليل يزيدهم بفضله ، والقصد منه أن من يعمل صالحا سيجزيه الله عز وجل بفضل ويزيده عليه.

وقوله تعالى : ﴿... وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾[٣] ، جاءت هذه الجملة أيضاً معطوفة على محذوف مقدر ذهناً ، ويستطيع المتدبر إدراكه ، أي : كانوا اكثر من المشركين المعنيين بالخطاب عدداً ، واكثر منهم عمراناً وحضارةً ، وأشد منهم قوةً[٤] . وهو بيان للأمم الغابرة التي أهلكها الله بقدرته بعد أن كفروا بنعمته ، عكس المشركين الذين عاصروا الرسول (صلى الله عليه و آله وسلم) لم يكونوا أولوا زراعة أو قوة مبينة كما كانوا السابقين ، ((فلم تَحْم الأولين من عذاب الله وإهلاكه لهم ، قوتهم ولا مزارعهم ، ولا تقدمهم العمراني))[٥] . والحذف في جملة محذوفة مقدرةً ذهناً وهم عدد المشركين ، والسبب الأمم الغابرة التي أهلكها الله بسبب كفرهم ، والدليل كانوا أكثر قوة وعزة ومنعة ، والقصد أن الله أهلك أقواماً كفرت به مع نهم كانوا أكثر قوة وعزة من المشركين الذين عاصروا رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم) فهل يتعظون ؟

وفي رحاب سورة مريم قوله تعالى : ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾[٦] فمن الحذف بالإيجاز ، حذف المبتدأ والتقدير : (هذا ذكر) ، وبقي الخبر (ذكر) وأضيف إلى رحمة ، وقد قدم الله ذكر الرحمة التي شملت زكريا عليه السلام واستجابة دعائه ؛ لأنها أجلّ ما في قصته ، كانت جديرة بأن تكون فاتحة عنوانها[٧] . فالحذف في المبتدأ بتقدير (هذا) ، والسبب تقديم ذكر الرحمة للنبي زكريا عليه السلام ، والدليل (رحمة ربك) ، والقصد التميز بذكر الرحمة على النبي زكريا عليه السلام لأن فيها استجابة لدعائه .

وقوله تعالى : ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾[٨] ، والتقدير : (أذكر إذ نادى) ، (إذ) ظرف زمان والعامل فيه محذوف ، بمعنى : ضع في ذاكرتك أيها المتلقي الصالح للخطاب قصة

---

(١) معارج التفكر ، مج٧ ص٢٤٨-٢٤٩ .
(٢) ينظر : المصدر السابق ، مج٧ ص١٧٠ .
(٣) فاطر : آية ٤٤ .
(٤) معارج التفكر ، مج٧ ص٢٦٨ .
(٥) المصدر السابق ، مج٧ص٣٤٠ .
(٦) مريم : آية ٢.
(٧) ينظر : معارج التفكر ، مج٧ ص٣٧٧ .
(٨) مريم : آية ٣.

زكريا ... ، ونظائر هذا الحذف كثير في القرآن المجيد [١]. فالحذف في معمول (إذ) ، والسبب يفهم من النداء وهو دعاء زكريا عليه السلام لربه لأن النداء في اللغة دعاء ، والدليل النداء الخفي بين زكريا عليه السلام وربه عز وجل ، والقصد في أذكر أيها المتلقي خطاب النبي من ربه .

وقوله تعالى : ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا...﴾[٢] أي : وأبصر بهم ، حذفت عبارة (بهم) لدلالة ما قبلها عليها ، ومثل هذا الحذف سهل الإدراك . وهذا النوع من الحذف يسمى (الاكتفاء) ، أي أن المفسر صنف هذا الحذف بقصد الاكتفاء بما سبقه من كلام . فالحذف في (بهم) ، والسبب دلالة ما قبله (أَسْمِعْ بِهِمْ) ، والدليل دلّ ما قبله عليه ، والقصد في دلالة الحذف لما قبلها . ونكمل في قوله تعالى : ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾[٣] ، جاء في هذه الآية حذف حرف النون من (يكن) ، يجوز حذف النون من الفعل المضارع (يكون) بشرط كونه مجزوماً بسكون ، غير متصل بضمير نصب ولا ساكن [٤]. والداعي البلاغي الإشعار بأن من كان معدوماً في الواقع يحسن أن يوجز الحديث عنه في اللفظ ، اذا كان الحذف جائزاً لغةً . وهذا النوع من الحذف يسمى (الاقتطاع) [٥] . نلحظ أن الحذفين السابقين بلاغي والقصد منه صرفي في حذف (بهم) و (النون في يكن) ، ويفهم من سياق الكلام في الآيتين الكريمتين ، بحسب تفسير الشيخ ابن حبنكة (سهل الإدراك) .

المبحث الثاني :

الإيجاز بالحذف في سورة الأعراف

لقد خصص الشيخ ابن حبنكة لسورة الأعراف مجلداً ونصفاً تقريباً لتدبر آياتها الكريمة ، وفي نهاية التدبر أفرد ملحقاً سماه (المستخرجات البلاغية) ومن ضمنها الإيجاز بالحذف لذا سنوردها تباعاً في هذه الفقرة .

قوله تعالى : ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[٦] ، يذكر الشيخ ابن حبنكة أن هناك حالة من الحذف يطلق عليها البلاغيون

---

(١) معارج التفكر ، مج٧ ص٦٦٦ .
(٢) مريم : آية ٣٨.
(٣) مريم : آية ٦٧ .
(٤) ينظر : معارج التفكر ، مج٧ ص٥٨٨ .
(٥) ينظر : معارج التفكر ، مج٧ ص٦٦٦ .
(٦) الأعراف : آية ٣ .

بـ(الاحتباك) وهو أسلوب موجود في البلاغة والقرآن كله بليغ ، وهو الحذف من الأوائل لدلالة الأواخر والحذف من الأواخر لدلالة الأوائل ، وتمثلت بهذه الآية الكريمة ، أصل العبارة : اجعلوا ربكم ولياً لكم ، فاتبعوا ما أنزل إليكم منه ، ولا تتخذوا من دونه أولياء تتبعون ما يأمرونكم به وما ينهونكم عنه . والقصد في الحذف ودلالة الاحتباك هي أن يكون الله ولي المؤمنين دون غيره[١] . وقوله تعالى : ﴿ ... إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[٢] ، يقول الشيخ ابن حبنكة : ((في هذه العبارة اكتفاء بذكر العلة عما تقتضيه هذه العلة))[٣] ، أصل العبارة : ولا تعتدوا لأن الله لا يحب المعتدين . فذكر العلة أغنى عن ذكر النهي عن الاعتداء ، وهو مقدر ذهناً ، وقد حذف إيجازاً ، ويسهل على المتدبر أن يدركه . والقصد في الحذف هنا الاستغناء عن النهي في الاعتداء [٤] . و يرى الباحث أن في كلا الآيتين يظهر القصد لنا من خلال قرائن موجودة في الآية نفسها ، ففي الأولى يكون القصد لولاية الله المطلقة على عباده دون غيره ، وفي الثانية إن الله لا يحث على الاعتداء ولا يحب المعتدين .

قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾[٥] ، وهذه الآية عكس ما قبلها فهي اكتفت بالنهي عن الأمر بضده . وسبب الحذف لوجود قرينة الإصلاح في الآية وهي ضد الإفساد . أي : فالقصد هنا ، اغنى النهي عن الإفساد في الأرض عن الأمر بإصلاحها[٦] . فالحذف في أمر الإصلاح ، والسبب الأمر بالإصلاح ، والدليل نهى بالضد ، والقصد هو الأمر بالإصلاح من خلال النهي عن الفساد .

وقوله تعالى : ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا...﴾[٧] ، ويعود هنا (الاحتباك) فأصل العبارة : ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ﴾ هيناً سهلاً جيد العطاء (بأذن ربه) وهو القصد ، والبلد الذي ﴿ خَبُثَ لَا يَخْرُجُ﴾ نباته ﴿إِلَّا نَكِدًا﴾ أي : عسراً شحيحاً قليل العطاء والنفع وهو القصد الآخر[٨] . . والسبب واضح ويمكن إدراكه من خلال قرينة البلد الطيب وعكسه الخبيث ، فهما غير متساويين في عطاء الله . فالحذف في طريقة خروج النبات في البلدين الطيب والخبيث بأذن الله تعالى هو القصد الذي يرتجى ، بحسب رؤية المفسر وتأييد الباحث .

---

(١) ينظر : معارج التفكر ، مج٥ ص١٤٨ .
(٢) الأعراف : آية ٥٥ .
(٣) معارج التفكر ، مج٥ ص١٤٨ .
(٤) المصدر نفسه .
(٥) الأعراف : آية ٥٦ .
(٦) ينظر : معارج التفكر ، مج٥ ص١٤٩ .
(٧) الأعراف : آية ٥٨ .
(٨) ينظر : معارج التفكر ، مج٥ ص١٤٩ .

وقول الله عز وجل حكاية عن نوح لقومه : ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ﴾[١] ، ويقول الشيخ ابن حبنكة : ((في هذه العبارة حذفان : الحذف الأول : دلَّ عليه وجود حرف العطف ، دون وجود معطوف عليه في اللفظ ، والتقدير : أكرهتم ترك ما انتم عليه من شركٍ وفسقٍ واتباع ما جئتكم به من حق وخير ، وعجبتم أن جاءكم ذِكرٌ من ربكم . الحذف الثاني : دلَّ عليه الاقتصاد الفكري ، في عبارة : ﴿ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ﴾ والتقدير : ذكرٌ من ربكم مُنْزَلٌ على رجل منكم)) [٢]. وفي كلا القصدين الحذف هنا هداية للناس على يد نبيه نوح عليه السلام ، فالحذف يفهم من حرف العطف الذي يدل على وجوده ، والسبب هو الاقتصاد الفكري ، وكذلك أنهم كرهوا ترك ما هم عليه ، واتباع ما جاءهم به نوح عليه السلام ، والدليل أنهم تعللوا لإنكار رسالته بإظهار التعجب من أن يبعث الله بشراً رسولاً[٣] . والقصد عدم تركهم لما هم عليه لكفرهم . والباحث يرى أن هذا الحذف سهل إدراكه لما فيه من قرائن ترتبط في نفس الآية الكريمة من إنكار نبوة نوح عليه السلام وهو منهم ، واستفهامهم الإنكاري وتعجبهم من الذِكر الذي أنزل عليه .

قوله تعالى : ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ [٤] ، في هذه العبارة دلَّ على المحذوف العطف بالفاء الفصيحة بعد همزة الاستفهام في أولها ، والتقدير : ألدى أهل القرى الكافرين علم بأن الله عز وجل لن ينزل بهم عذابه على ما يكسبون من آثام ، فأمنوا واطمأنوا ولم يخافوا أن يأتيهم بأس ربهم في الليل وهم نائمون . وسبب الحذف هو إنكارهم لقدرة الله سبحانه ، والقصد في الحذف التنبيه من عذاب الله سبحانه بما كسبوا من آثام[٥].

وقوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ۝ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾[٦] ، في هذا النص حذف مطوي بين المثاني يستخرجه المتدبر بالتأمل ، والتقدير : ﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ﴾ فعرض عليهم المهمة التي حشرهم من أجلها ، وهي مباراة بينهم وبين ساحر كبير من بني إسرائيل اسمه موسى ومعه اخوه هارون [عليهما السلام] (هكذا أوهمهم) فقبلوا أن يدخلوا هذه المباراة ، على شرط أن يجعل لهم فرعون أجراً كبيراً إن كانوا هم الغالبين ﴿ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ ، فسبب الحذف لوجود

---

(١) الأعراف : آية ٦٣ .
(٢) معارج التفكر ، مج٥ ص١٥٠ .
(٣) المصدر السابق ، مج٤ ص٣٢٨ .
(٤) الأعراف : آية ٩٧ .
(٥) ينظر : معارج التفكر ، مج٥ ص١٥٠ .
(٦) الأعراف : آية ١١٣-١١٤ .

الجواب من فرعون في أنه سيجعلهم من المقربين أي وجود جائزة قيمة لهم إن غلبوه[١] . والقصد أن يتغلب السحرة على موسى عليه السلام .

الإيجاز بالحذف في سورة الشعراء

ونبدأ بقوله تعالى : ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾[٢] ، في هذه الآية حذف يمكن استخراجه بالتدبر ، والتقدير : فظلت أعناقهم منكسرة في ظاهر سلوكهم ، وظلوا من أعماق قلوبهم خاضعين لها . [٣]. والسبب إظهار قدرة الله سبحانه وتعالى إن شاء ذلك ، والدليل في كلمة (خاضعين) ، والقصد واضح في الخضوع القلبي لله سبحانه.

في قوله تعالى : ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾[٤] هذا الحذف من نوع (الاحتباك) الذي ذكره المفسر سابقاً ، وهو حذف من الأوائل لدلالة الأواخر ، وبالعكس ، والتقدير : ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا﴾ و استهزؤوا ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ﴾ تحقيق ﴿ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ﴾ يكذبون و ﴿يَسْتَهْزِئُونَ﴾ . والقصد منه عقوبة الاستهزاء [٥] . وهذا النوع من الحذف يحلل نفسه بنفسه ، كون الأول يفسر الآخر والآخر يفسر الأول ، وهو بذلك يطرح دليله بسياق الآية نفسها . الحذف واضح وبين ، والسبب التكذيب يبين الاستهزاء وبالعكس ، والدليل وجود قرينة الكذب والاستهزاء ، والقصد هو عقوبة الاستهزاء .

قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾[٦] ، الواو في (أَوَلَمْ) تعطف على محذوف يمكن بالتدبر تقديره على الوجه التالي : ألم يشهدوا آيات الله الكثيرة في كونه ، ونعمه الكثيرة التي لا يستطيعون إحصائها ، ولم يروا بأفكارهم وقلوبهم ناظرين بأعينهم إلى الأرض ، كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم ، إنعاماً منا عليهم ، ورحمةً منا بهم[٧] . فالحذف في نعمة الله التي لم تذكر لفظاً ، والقصد في نعمة الله التي لا تحصى التي أنزلها على عباده ، والدليل إنبات الأرض من كل زوج ، وبذلك تكتمل أركان الحذف ، والقصد في العطف والنفي اللذان طرحهما الله تعالى لمن جحد بنعمه المنزلة لعباده .

---

(١) ينظر : معارج التفكر ، مج٥ ص١٥١ .
(٢) الشعراء : آية ٤ .
(٣) معارج التفكر ، مج٨ ص٧٣٥ .
(٤) الشعراء : آية ٦ .
(٥) معارج التفكر ، مج١٠ ص٧٣٥-٧٣٦ .
(٦) الشعراء : آية ٧ .
(٧) معارج التفكر ، مج١٠ ص٧٣٦ .

وقوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ۞ ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ ۞ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ﴾[١] ، الفاء في (أَفَرَأَيْتَ) فصيحة ، تعطف على محذوف ، والتقدير أفكرت في هؤلاء المعاندين المكذبين ، فرأيت بفكرك أننا إن أمهلناهم ومتعناهم سنين ، ثم بعدها جاءهم ما كانوا يوعدون من تعذيب و إهلاك ، فهل يُغني عنهم ما زدناهم من متاع في الحياة الدنيا ؟ إنهم بعد إنزال العذاب والإهلاك بهم ، يجدون أنه ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون شيئاً[٢] . فالحذف في العذاب الذي ينتظرهم ، والسبب تمتعهم بالحياة دون العمل للآخرة ، والدليل الوعد عند مجيئه ، والقصد بيّن هنا في حق المكذبين المعاندين ونهايتهم المشؤومة .

وقد أورد الباحث هاتين السورتين المباركتين ؛ لأن المفسر ابن حبنكة ذكر كثيراً من الحذف فيهما دون سواهما من السور الكريمة ، مع أن سورة البقرة الأكثر نصيباً من الحذف – نظراً لكثرة آياتها – إلا أن المفسر لم يتدبر هذه السورة بشكل مفصل لكون أغلب آياتها مدنية وليست مكية حسب قوله : ((إنها أول ما نزل في المدينة من القرآن))[٣] .

ومن أمثلة الإيجاز بالحذف المذكور في تفسير معارج التفكر ، قوله تعالى : ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۞ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ [٤] ، الراجفة ، والرادفة ، كل منهما صفة لموصوف محذوف إيجازاً ، أي : يوم ترجف وتتزلزل كل كائنة قابلة لأن ترجف وتتزلزل في الكون ، بتأثير النفخة الأولى في الصور ، ثم بتأثير النفخة الثانية فيه [٥] . فالحذف للموصوف (الكائنات) ، والسبب لوجود الصفة نفسها في الآية ، والدليل وجود القرينة (الصفة) ، والقصد هو التذكير بأهوال يوم القيامة ووصفها المهول .

وفي القصد نفسه والسورة نفسها قوله تعالى : ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۞ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾[٦] ، أي : ونهى النفس عن اتباع الهوى . فالحذف اتباع الهوى ، والسبب الخوف من الله ، والدليل المكافأة وهي الجنة ، فالقصد لذلك الحذف هو عدم اتباع الهوى للفوز بالجنة .

---

(١) الشعراء : آية ٢٠٥-٢٠٧ .
(٢) معارج التفكر ، مج١٠ ص٧٣٧ .
(٣) معارج التفكر ، مج١٥ ص٣٤١ .
(٤) النازعات : آية ٦-٧ .
(٥) معارج التفكر ، مج١٥ ص٦٦ .
(٦) النازعات : آية ٤٠-٤١ .

وقوله تعالى بشأن الساعة ووقت قيامها : ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا﴾[١] أي : إلى ربك منتهى الحياة الدنيا ، وقيام الساعة [٢] . والحذف هو الحياة الدنيا وقيام الساعة ، والسبب العلم بأن كل شيء منتهاه لله عز وجل ، والدليل قدرته ، والقصد فيه أن كل شيء منتهاه لله وحده لا غير .

وقوله تعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾[٣] ، أي : ﴿كَلَّا﴾ زجراً لكم يا أيها الذين لم تنتفعوا بآيات الله فيكم ، إذ خلقكم فسواكم فعدلكم ، وفي الصور التي شاءها ركبكم ، فلم تؤمنوا به ، وبما أنزل إليكم على لسان رسوله ، ولم تؤمنوا بجزائه ، وبأنكم في رحلة امتحان ، وبعد موتكم سوف تبعثون وتحاسبون وتجازون ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ﴾ تكذيباً متتابعاً ﴿بِالدِّينِ﴾ بالجزاء وبيوم الجزاء الأكبر[٤] . الحذف في الزجر الذي استخدمه للكافرين بكلمة (كلا) ، والسبب أنهم مكذبون بالدين ، والدليل قرينة (التكذيب) ، والقصد في عدم انتفاعكم بآيات الله من خلق ونعم سخرها لكم .

وقوله تعالى : ﴿ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ۝ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ۝ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ۝ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾[٥] ، أي : ليس الذين كفروا المعنيّون أصحاب حُجج تجعلهم لا يؤمنون وليسوا فيما يتظاهرون به من أنهم لا يشعرون ببلاغة القرآن المعجزة صادقين ، بل هم يكذبون الرسول [(صلى الله عليه و آله وسلم)] ويكذبون بأن القرآن منزل من رب العالمين ، إلى آخر ما جاء في تدبر الآيات . فحرف (بل) يعطف على محذوف يسهل على المتدبر المتأني أن يستخرجه ذهناً [٦] . الحذف في كذب الكافرين ، والسبب ليخفوا حقيقة علمهم اليقين بأن الله ورسوله حق ، والدليل لا يسجدون للقرآن ويصرون على الكذب ، فالقصد في إنكار الكافرين للقرآن وللرسول (صلى الله عليه و آله وسلم) .

وكذلك قوله تعالى :﴿ ... لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾[٧] ، أي : لله الأمر من قبل الغلب ومن بعد الغلب . ويذكر المفسر أن الله سينصر الروم على الفرس فيفرح المؤمنون ؛ لأن الروم أهل كتاب ، وفي نفس الوقت سيفرح المؤمنون لانتصارهم على المشركين بغزوة بدر الكبرى [٨]. والحذف في لله الأمر من قبل الغلب وبعده ، والسبب ما تقدم

---

(١) النازعات : آية ٤٤ .
(٢) معارج التفكر ، مج١٥ ص٦٦ .
(٣) الانفطار : آية ٩ .
(٤) معارج التفكر ، مج١٥ ص٨٦ .
(٥) الانشقاق : الآيات ٢٠-٢٣ .
(٦) معارج التفكر ، مج١٥ ص١٠٩ .
(٧) الروم : آية ٤ .
(٨) معارج التفكر ، مج١٥ ص١٢٨ .

فـي الآيـة السـابقة بقولـه تعـالى : ﴿فِـيٓ أَدۡنَـى ٱلۡأَرۡضِ وَهُـم مِّـن بَعۡـدِ غَلَـبِهِمۡ سَـيَغۡلِبُونَ﴾[١] بغلبـة الفـرس ، والـدليل بقرينـة أمـر الله نافـذ قبـل وبعـد ، فالقصـد فـي ذلـك أن الأمـر لله ينصـر مـن يشـاء .

وقولـه تعـالى : ﴿ أَوَلَـمْ يَتَفَكَّـرُوا فِـي أَنفُسِـهِم مَّـا خَلَـقَ اللَّـهُ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَـا بَيْنَهُمَـا إِلَّا بِـالْحَقِّ وَأَجَـلٍ مُّسَـمًّى ...﴾[٢] ، أي : أفقـدوا قـدراتهم الفكريـة وانطمسـت بصـائرهم ولـم يتفكـروا . الحـذف فـي تفكيـرهم الضـيق وعمـى بصـائرهم ، والسـبب كفـرهم الظـاهر ، والـدليل أنهـم لا يتفكـرون حتـى بأنفسـهم وكيـف خلقـت ؟ ولا السـماء كيـف رفعـت ؟ والأرض كيـف سـطحت ؟ ، والقصـد فـي عمى أبصارهم وعقولهم عن الحقيقة في أن الخالق الله وحده سبحانه عما يصفون .

وقولـه عـز وجـل بشـأن كبـراء مشـركي مكـة : ﴿أَوَلَـمْ يَسِـيرُوا فِـي الْأَرْضِ فَيَنظُـرُوا كَيْـفَ كَـانَ عَاقِبَـةُ الَّـذِينَ مِـن قَـبْلِهِمْ﴾[٣] ، أي : أأقـاموا فـي بلـدهم فـي مكـة طـوال أعمـارهم ولـم يسـيروا فـي الأرض فينظـروا آثـار الـذين أُهلكـوا بسـبب كفـرهم وتكـذيبهم رسـل ربهـم (علـيهم السـلام) . فالحـذف فـي الاسـتفهام الـذي يركـز علـى عـدم نظـرهم للأمـم التـي قـبلهم ، والسـبب كفـرهم وصـدهم عـن الحقيقة ، والدليل عاقبة الذين من قبلهم ، والقصد في عدم إيمانهم وكفرهم بما أنزل الله تعالى .

وقولـه تعـالى : ﴿ ظَهَـرَ الْفَسَـادُ فِـي الْبَـرِّ وَالْبَحْـرِ بِمَـا كَسَـبَتْ أَيْـدِي النَّـاسِ لِيُـذِيقَهُم بَعْـضَ الَّـذِي عَمِلُـوا لَعَلَّهُـمْ يَرْجِعُـونَ﴾[٤] ، أي : وقـدّر الله وقضـى بحكمتـه إظهـار هـذا الفسـاد ضـمن سُـننه ، ليـذيق النـاس عقـاب بعـض الـذي عملـوا رغبـةً فـي أن يرجعـوا عـن أعمـالهم التـي ينـجم عنهـا الفسـاد[٥] . فالحـذف فـي قـدر الله وقضـاؤه ، والسـبب إظهـار الفسـاد ليـراه النـاس بـأعينهم ، والـدليل يـذيقهم مـا عملـوا ، بقرينـة (مـا كسـبت أيـديهم) ، والقصـد فيـه أن الله يعاقـب النـاس بأفعـالهم السـيئة .

وأيضـاً قولـه تعـالى : ﴿الَّـذِينَ إِذَا اكْتَـالُوا عَلَـى النَّـاسِ يَسْـتَوْفُونَ۝ وَإِذَا كَـالُوهُمْ أَو وَّزَنُـوهُمْ يُخْسِـرُونَ﴾[٦] أي : وإذا كـالوا لهـم ، أو وزنـوا لهـم يُخسـرون ، فحـذف حـرف الجـر الـلام إيجـازاً ، وهـو مـا يسـمى عنـد النحـاة (الحـذف والإيصـال) ، ويمكـن أن يكـون هـذا التعبيـر مـن قبيـل تنزيـل الممتلكـات منزلـة أشـياء مـن ذوات المـالكين لهـا ، لأن النـاس يعتبـرون مـا يملكونـه بمثابـة جـزء مـن

---

(١) الروم : آية ٣ .
(٢) الروم آية : ٨ .
(٣) الروم : آية ٩ .
(٤) الروم : آية ٤١ .
(٥) معارج التفكر ، مج١٥ ص١٩٧-١٩٨ .
(٦) المطففين : آية ٢-٣ .

ذواتهم[١] . الحذف في اللام ، والسبب نسبهم ذلك لأنفسهم ، والدليل الضمير (هم) في قرينة (كالوهم و وزنوهم) ، والقصد فيه عدم العدل في الوزن أثم وذنب عظيم . فكل قصد في الآيات السابقة له معنى معين أساسه الحذف بالإيجاز الذي تحقق بقصده .

الحذف بقصدية التضمين

ويضيف لنا الشيخ ابن حبنكة في تفسيره مصطلح (التضمين) : وهو تضمين الكلمة معنى كلمة أخرى ، وتعديتها بالطريقة التي تعدى بها الكلمة غير المصرَّح بها لفظاً ، وبهذا التضمين تغني الجملة الواحدة عن الجملتين . والتضمين من الإبداعات القرآنية النفسية في الإيجاز [٢] . وهو أسلوب موجود في كتب العلوم القرآنية وغيرها .

ومن الإيجاز بالحذف على طريقة (التضمين) قول الله عز وجل بشأن مريم (عليها السلام) وحملها بعيسى عليه السلام : ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾[٣] ، (انتَبَذَتْ) أي : اعتزلت وانصرفت إلى ناحية أخرى ، وهذا الفعل لا ينصب مفعولاً به لكن ضُمِّنَ معنى فعل : (اختارت) أو (حلّت) فَعُدِّيَ تعديته . والتقدير : فانتبذت به مختارةً أو حالَّةً مكاناً قصياً . وهذا التضمين الإيجازي من نفائس القرآن المجيد [٤] . فالحذف في (مختارة مكاناً) ، والسبب التعدية في الفعل وتضمينه لها ، والدليل القرينة في مكاناً قصياً ، والقصد اختارت الابتعاد للستر . وهذه التعدية فيها تضمين الكلام المحذوف عن القصد في الإيجاز بالحذف كما ذكر الشيخ ابن حبنكة .

ونرى الشيخ يؤكد على المحذوفات من بناء الكلام كما أشار الباحث لقول المفسر في بداية الموضوع ، ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾[٥] ، وفيه أن الله استخدم فعل (صبّ) لبيان نوع العذاب الذي ينتظرهم وكيف ينزله عليهم ولم يستخدم فعل أنزل ؛ لأنّ (صبّ) يعني سكب الشيء وإفراغه دفعة واحدة ، وجعله يتهاوى من علو بتتابع بقوة واندفاع ، وهذا المعنى أو القصد محذوف ومطوي تحت هذا الفعل الذي اختاره الله للأمم السابقة التي كفرت بنعمته جل وعلا [٦] . فالحذف في تضمين معنى الفعل (صبّ) ، أما السبب لإرهاب الكافرين ، الدليل نوع العذاب المنزل عليهم دفعة واحدة ، والقصد في ذلك عقاب للأمم التي كفرت بنعمته عز وجل .

---

(١) معارج التفكر ، مج١٥ ص٣٣٧ .
(٢) ينظر : معارج التفكر ، مج٧ ص٢٤٩ .
(٣) مريم : آية ٢٢ .
(٤) معارج التفكر ، مج٧ ص٦٦٦-٦٦٧ .
(٥) الفجر : آية ١٣ .
(٦) معارج التفكر ، مج١ ص٥٢٩ .

ومنها ما جاء في العبارة المحكية عن إبراهيم عليه السلام قوله تعالى : ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا﴾[١] ، كلمة : (أغنى يغني) هي بمعنى : (كفى يكفي) يُقال : أغناه : أي : كفاه ، ومعلوم أن الكفاية عند الحاجة إلى ما يدفع المكروه تتضمن معنى الصَّرف والكف ، فضُمِّن فعل (يُغني) معنى (يكف) أو (يصرف) فعُدِّيَ تعديته ، وفق قاعدة (التضمين) فصار المعنى : لم تعبد ما لا يكفيك ولا يصرف عنك شيئاً تكرهه [٢] . فالحذف في تضمين معنى الفعل ، والسبب عتاب للأب في عبادته لغير الله عز وجل ، والدليل قوله (لِمَ تعبد...) ، والقصد في أن ينصح أباه في عدم عبادة غير الله عز وجل .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ﴾[٣] ، والإيجاز في هذه العبارة هو من نوع الإيجاز بالحذف مع تضمين المذكور معنى المحذوف ، إذ ضُمن فيها فعل ﴿يَمْكُرُونَ﴾ معنى فعل : " يقصدون" أو فعل "يعملون" فعُدِّي تعديته ، والتقدير : والذين يمكرون قاصدين عمل السيئات [٤] . فالحذف في تضمين المعنى ، والسبب انهم يعلمون إنها سيئات فيفعلونها ، والدليل (يمكرون) ، والقصد في انهم يعرفون السيئات ويقصدون فعلها ثم يمكرونها .

في التعريف بالمراد من لفظ (تسنيم) ، هي عين في الجنة يشرب منها المؤمنون ، وسميت تسنيم من السنام ؛ لأنها تنبع في مكانٍ عالٍ ، وهذا سابق لقوله تعالى : ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾[٥] ، في هذه الآية تضمين ، وهو تضمين فعل (يشرب) معنى فعل (يتنعّم) فَعُدّي تعديته ، فأغنت الجملة عن جملتين . والتقدير : يشرب متنعماً بالشرب منها المقربون[٦]. فالحذف هي اسم العين التي ذكرناها قبل الآية الكريمة (تسنيم) ، والسبب إنها خاصة للمقربين ، وهم الأنبياء والمحسنون والصالحون من العباد ، والدليل قرينة الشرب بتنعم ، وقصدهم التنعم بالعين .

وفي قوله تعالى : ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾[٧] ، يذكر الشيخ ابن حبنّكة في ﴿ تَفْتَأُ﴾ أي : قالوا تالله لا تزال تذكر يوسف ، يقال لغةً : (ما فتئ يفعل كذا ولا يفتأ يفعل كذا) أي : ما زال ولا يزال يفعل كذا . والنفي بعد القسم في ﴿ تَاللَّهِ تَفْتَأُ﴾ ملحوظ ذهناً وإن لم يذكر لفظاً [٨] . فيذكر هنا المفسر أن النفي مذكور (ذهناً)

---

(١) مريم : آية ٤٢ .
(٢) معارج التفكر ، مج٧ ص٦٦٧ .
(٣) فاطر : آية ١٠ .
(٤) معارج التفكر ، مج٧ ص٢٤٩ .
(٥) المطففين : آية ٢٨ .
(٦) معارج التفكر ، مج١٥ ص٣٣١ .
(٧) يوسف : آية ٨٥ .
(٨) معارج التفكر ، مج١٠ ، ٧٢٣ .

وإن لم يكتب أو يذكر لفظاً ، دلالة على أن القرآن دقيق في تعبيره واختيار مفرداته ، كيف لا وهو كلام الله عزّ وجلّ . فالحذف في (لا) قبل الفعل (تفتأ) ، والسبب وجود القسم قبلها ، والدليل الاستمرارية في الذكر إلى الهلاك ، والقصد في ذلك دقة عبارة القرآن الكريم في التعبير عن حال يعقوب عليه السلام .

وقد رأت الدكتورة بنت الشاطئ أنه لا مجال لتقدير حروف محذوفة بقولها : ((ولا وجه إذن لتقدير الحرف ثم تأويل حذفه ؛ لإنّ السياق متى ما أعطى المعنى المراد ، مستغنياً عن هذا الحرف أو غيره ، كان ذكره من الفضول أو الحشو الذي يتنزه عنه الكلام البليغ ، فضلاً عن البيان المعجز . وأراهم في تقدير حرف نفي محذوف ، حملوا "تفتأ" على : "مازال" أم الباب من أفعال الاستمرار . وكأن قد فاتهم أن "زال" لا تكون فعل استمرار لا منفية ، فإذا لم يسبقها حرف نفي فهي تامة بمعنى الزوال نقيض البقاء ... على حين تفي "فتيء" معنى الاستمرار أصالة مستغنية عن حروف النفي . ولا تأتي تامة في العربية ...))[١] .

وقوله تعالى : ﴿ يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[٢] ، فقد ذكر المفسر أن يعقوب عليه السلام طلب من أبنائه أن يتحسسوا أخبار يوسف واخيه ، ﴿ فَتَحَسَّسُوا﴾ أي : متلقِّطين بتحسسكم من أخبار يوسف وأخيه ، ما يكشف لكم أُموراً يقضي الله بها الفرج الذي أطمع فيه . ضُمِّنَ الفعل في ﴿ فَتَحَسَّسُوا﴾ معنى الفعل في [التقطوا] وحُذف المعمول من كليهما ، والتقدير : (من أخبار) فصار المعنى : فتحسسوا مُلتقطين من أخبار يوسف واخيه بنيامين ما تستطيعون التقاطه [٣] ، فهذا الحذف يفهم من سياق السورة نفسها وسياق الآيات التي قبل هذه الآية فيما يريده يعقوب عليه السلام من أبنائه ، لعلهم يأتونه بنبأ عن يوسف عليه السلام وأخيه.

المبحث الثالث :

الذكر والحذف

لا نريد هنا أن ندرس مواضع الحذف عند النحاة وما كانوا يقدرونه منه ، لان القرآن الكريم لا يوجد فيه حذف حرف أو كلمة ، إنما هو تام لا يحتاج إلى أن نقدر المحذوف ... ، وكما عبر عن ذلك الدكتور فاضل السامرائي في كتابه التعبير القرآني بقوله : ((إن التعبير

(١) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الازرق ، ص ١٧٨-١٧٩ .
(٢) يوسف : آية ٨٧ .
(٣) معارج التفكر ، مج١٠ ، ٧٢٤-٧٢٥ .

القرآني تعبير فني مقصود كل لفظة بل كل حرف فيه وضِع وضعاً فنياً مقصوداً ، ولم تراعَ في هذا الوضع الآية وحدها ولا السورة وحدها بل روعي في هذا الوضع التعبير القرآني كله))[١] .

قد يحذف في التعبير القرآني لفظ أو مفردة أو حرف أو يذكره أو يجتزئ بالحركة للدلالة على المحذوف ، بأسلوب فني جميل لقصد أو غرض معين ، كقوله تعالى : ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾[٢] ، ﴿ فَمَا اسْطَاعُوا﴾ أي : لم يصعدوا ، فحذف التاء للإشعار بأن العمل خفيف نسبياً ، ووضع التاء في الفعل ﴿ وَمَا اسْتَطَاعُوا﴾ للإشعار بثقل العمل وطوله بإطالة وإضافة التاء للفعل ، لأنّ في الأولى فقط صعود الجبل الذي بناه ذو القرنين ، أما في الثانية يجب عليهم التنقيب أي حفر الجبل وهذا العمل متعب ويحتاج إلى جهد ووقت [٣] . ويذكر الشيخ ابن حبنكة في هذه الآية أن قوم يأجوج ومأجوج لم يستطيعوا أن يعلوا السد بدوابهم وخيولهم وأسلحتهم (اسطاعوا) ، ولم يستطيعوا خرقه بأزاميلهم والفؤوس والمرزبّات (استطاعوا) فيدل بذلك على العمل الخفيف في تسلق الدواب في الأول ، وصعوبته بالحفر (التنقيب) بالفؤوس والأزاميل في الثاني [٤] . فالحذف والذكر في حرف (التاء) في الفعلين (اسطاعوا و استطاعوا) ، والسبب لبيان نوع الصعوبة بين الأمرين ، والدليل قرينة (يظهروه) في الأول ، و(نقباً) في الثاني ، وهنا يتحقق قصد الذكر والحذف من خلال حرف واحد (التاء) مرة بحذفه وأخرى بإضافته .

ومنه كذلك في سورتين مختلفتين قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ[٥]﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾[٦] ترى أن الفعل في الآية الأولى (تكُ) وفي الثانية (تكُن) ، فحذف النون وإثباتها جعل القصد في الآيتين يختلف باختلاف السياق ، ففي سورة النحل (تكُ) حذفت النون ؛ لأن الآية نزلت حين مثّلَ المشركون بالمسلمين في يوم أحد ، وخاصة بعم النبي محمد (صلى الله عليه و آله وسلم) (حمزة) عليه السلام والمسلمين الذين معه ، فغضب الرسول (صلى الله عليه و آله وسلم) وتوعد إن ظفر بهم أن يمثل بهم ، فنزل قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ۞ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي

---

(١) التعبير القرآني ، د.فاضل السامرائي ، ص١٠-١١ .
(٢) الكهف : آية ٩٧ .
(٣) التعبير القرآني ، ص٧٤ .
(٤) ينظر : معارج التفكر ، مج١٣ ص٤٦٠ .
(٥) النحل : آية ١٢٧ .
(٦) النمل : آية ٧٠ .

ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ۞إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [١] ، فرجع الرسول (صلى الله عليه و آله وسلم) عما أراده ، لذا خفف الله سبحانه حديثه بحذف النون من الفعل في سورة النحل لتطييب نفس الرسول (صلى الله عليه و آله وسلم) ، إشارة إلى ضرورة حذف الضيق من النفس والى تخفيف الأمر وتهوينه على النفس[٢] . أما في سورة النمل ، فلم تحذف (نون) الفعل (تكن) لأن الله سبحانه وتعالى أراد التخفيف عن نبيه ؛ لأنّه حزن كثيراً لعدم هداية الكثير من قومه من قريش وخاصة كبراؤهم ، لذا كان عدم الحذف (الذكر) افضل في هذه الآية من سابقتها في سورة (النحل)[٣] . فالحذف والذكر كما أسلفنا في حرف (النون) من الفعل (تكن) ، والسبب في شدة الأمر على النبي في الأمرين ، والدليل قرينة الحزن ، والقصد في كل ذلك لتخفيف الضغط النفسي المستمر على النبي (صلى الله عليه و آله وسلم) .

ومن بديع الذكر والحذف قوله تعالى : ﴿ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ﴾[٤] ، وقوله تعالى : ﴿ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِن قَبْلُ﴾[٥] ، فحذف (به) من آية الأعراف بخلاف آية يونس ؛ وذلك أن الإطلاق سياق الأعراف والتخصيص هو سياق سورة يونس ، فقد جاء قبل آية الأعراف قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[٦] ، فأطلق التكذيب ولم يذكر بماذا كذبوا وهو نظير الآية ﴿ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ﴾ ، ولم يذكر بماذا كذبوا . في حين أن السياق في سورة يونس سياق الذكر لا الإطلاق فقد جاء قبل الآية قوله تعالى : ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾[٧] ، أي انه خصص بما كذبوا (بِآيَاتِنَا) ولم يطلق ، فالقصد هنا في ذكر (به) وحذفها في الفرق بين الآيتين في سبب التكذيب [٨] . وقد أشار الشيخ ابن حبنكة إلى أن الآيتين في السورتين لهما معنى واحد دون زيادة أو نقصان فالذكر والحذف في الآية ليس له تأثير بالقصد لأنه يورد التفسير نفسه في كلا الآيتين . لكن الباحث لاحظ وجود اختلاف بسيط في طرح الشيخ من خلال تفسيره الآيتين ففي سورة الأعراف يذكر أن ((الذين أهلكوا بعد أن جاءتهم رسلهم بالبينات ، قد أمهلوا إمهالاً طويلاً كافياً لقطع كل أعذارهم ... ، فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل إهلاكهم ، مهما تركوا في رحلة امتحانهم في الحياة))[٩] . أما في تفسير سورة يونس فقد ذكر أن ((مصيرهم الذي صاروا إليه لن يكون لديهم أي

---

(١) النحل : آية ١٢٦-١٢٨ .
(٢) التعبير القرآني ، ص٧٦ .
(٣) ينظر : معارج التفكر ، مج٩ ص١٥٦ وما بعدها .
(٤) الأعراف : آية ١٠١ .
(٥) يونس : آية ٧٤ .
(٦) الأعراف : آية ٩٦ .
(٧) يونس : آية ٧٣ .
(٨) التعبير القرآني ، ص٨٩ .
(٩) معارج التفكر ، مج٤ ص٤٥٥ .

استعداد لأن يؤمنوا عن طريق إرادتهم الحرة ، بما كذبوا به من قبل طوال سيرة رسلهم بينهم داعين ومبلغين ومبشرين ومحذرين ومذكرين))[١] ، وهذا الفرق الواضح في أن الكافرين في الآية الأولى كذبوا كل شيء ولم ولن يؤمنوا ، أما في الآية الثانية فقد خص التكذيب بالآيات والدليل في انهم كذبوا الرسل والمبشرين والمبلغين وغيرهم الذين أرسلهم الله بآياته . فالحذف هنا في (به) كما ذكرنا ، والسبب هو في تخصيص وتعميم نوع التكذيب ، والدليل في نفس السور والآيات التي ذكرناها في بداية الفقرة ، أما القصد في أنهم كذبوا كل شيء سواء آيات الله أم رسله و كتبه المنزلة لذا وجب عليهم العقاب المبين .

قصدية الحذف بين المتكلم والمتلقي

ذكر المفسر في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[٢] ، أي : فسيروا في الأرض من حولكم ، فإنكم ستجدون أرض ثمود ، وأرض عاد ، وأرض قوم لوط ، وغيرها ، فانظروا كيف كان عاقبة مكذّبي رسل ربِّهم ، والمكذبين بما بلغوهم عن ربهم ، وهذه العاقبة قد كانت تدميراً لبلدانهم ، وإهلاكاً شاملاً لهم ، مقروناً بتعذيب من يستحق التعذيب منهم[٣] . أي فسيروا معتبرين ، فلم تذكر كلمة معتبرين لدلالة المعنى (القصد) الذي سبقها من تهديد بالإهلاك للأمم التي سبقتهم ، وسبب الحذف القرينة التي بعدها في (عاقبة المذبين) دلت على الأمم التي كانت تكذب رسلها ، والدليل (فسيروا في الأرض فانظروا) أي انظروا للأمم الغابرة ومصيرها ، فهذا الحذف يفهم من خلال قصد فهم المتكلم والمخاطب لهذا الخطاب الرباني لهم ، فلو لم يكن هناك فهم من قبل متلقي النص بالأحداث السابقة لما وصل مفهوم القصد له.

وفي نهاية هذا المبحث يمكن أن نلخص أن كل حذف مما ذكر سابقاً – وهو القليل– مما في القرآن الكريم له قصد ومعنى ، و وجِد لأنّ الله عز وجل أراده في هذا الموضع لتنشيط ذهن القارئ لكلام الله سبحانه وحكمة وموعظة ولعلات أخرى ، و ((إن باب الحذف في القرآن الكريم – دون سائر أبواب البلاغة – سيظل الباب البكر الذي يجد فيه الباحث في كل زمان من الجديد بقدر توفيق الله إياه وذلك ؛ لأن تقدير المحذوف إنما يتبع فهم الآية وتوجيهها وفهم مقاصدها وفي كل زمان تتكشف للقرآن الكريم أسرار لم تكن معروفة من قبل))[٤] .

---

(١) المصدر السابق ، مج١٠ ص٢٠٣ .
(٢) النحل : آية ٣٦ .
(٣) معارج التفكر ، مج١٣ ، ص٥٥٧ .
(٤) الحذف البلاغي في القرآن الكريم ، مصطفى عبدالسلام ابو شادي ، ص١٥٥ .

الخاتمة

وفي ختام بحثنا يمكن أن نجمل نتائج مهمة خرج الباحث فيها عند إكمال الدراسة ، منها :

١- الحذف ظاهرة لغوية ، وقصدها مهم في التأويل والتفسير ويجب الانتباه لما يحذف ولماذا .

٢- محاولة إيجاد الدليل الذي من أجله تم الحذف ، ويفضل أن يكون من داخل النص ، أو يُفهم من السياق الموجود في الآية .

٣- ظاهرة الحذف في القرآن الكريم هي تنشيط لذهن القارئ لمقاصد الآيات الكريمة.

٤- إن القصد في الحذف في تفسير ما يتبع مرجعية المفسر غالباً ، وتأثر المفسر في التفسيرات السابقة.

٥- تؤثر ثقافة وتربية المفسر في بعض التفسيرات وخاصة في الحذف والتأويلات التي تتعلق به .

٦- هناك تعبيرات قرآنية تذكر مرة وتحذف مرة أخرى على طول السور والآيات القرآنية يجب التنبه لها ومعالجتها ومعرفة القصد من هذا الذكر والحذف ، وتسليط الضوء عليه .

٧- الحذف وقصده بين المتكلم والمتلقي له أهمية بالغة في توصيل التفكير المناسب للمتلقي ، خاصة اذا كان المتلقي على دراية بأوليات الموضوع المطروح .

المصادر

القرآن الكريم

١- الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق ، بنت الشاطئ ، ط٣ ، د.ت ، دار المعارف ، القاهرة – مصر .

٢- التعبير القرآني ، د.فاضل السامرائي ، ط١ ، ٢٠١٣م ، مكتبة رشيد الهجري ، بغداد – العراق .

٣- الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، تح : د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ، ط١ ،٢٠٠٦م ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان .

٤- الحذف البلاغي في القرآن الكريم ، مصطفى عبدالسلام ابو شادي ، ط١ ، ١٩٩١م ، مكتبة القرآن للطبع والنشر ، القاهرة – مصر .

٥- الحذف رؤية قرآنية ، الأستاذ : احمد رسن صحن ، مجلة آداب البصرة ، العدد(٦١) ، ٢٠١٢م ، البصرة .

٦- الحذف رؤية قرآنية ، د.احمد رسن صحن ، جامعة البصرة –كلية الآداب ، مجلة آداب البصرة ، العدد (٦١) ، ٢٠١٢ .

٧- الحذف في اللغة العربية بين النحاة و البلاغيين ، أحلام علي و عبود محمد مهدي ، بحث في مجلة العلوم الإنسانية ، مجلد ١٨ (٣) ٢٠١٧ .

٨- الحذف والتقدير في النحو العربي ، علي ابو المكارم ، ط١ ، ٢٠٠٧ م ، دار غريب ، القاهرة – مصر .

٩- دلائل الإعجاز ، عبدالقاهر الجرجاني ، تح: محمد محمود التركزي الشقنيطي ، علق عليه : محمد رشيد رضا ، ١٩٩٤م ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان .

١٠- الشيخ عبدالرحمن بن حبنكة الميداني – من أعلام المفسرين في العصر الحاضر ، مقالة لمجد مكي عن رابطة العلماء السوريين في ٢٠١٣/٥/٥ . الرابط : https://islamsyria.com/site/show_cvs/14

١١- عبدالرحمن بن حبنكة العالم المفسر : زوجي كما عرفته ، عائدة راغب ، ط١ ، ١٤٢٢هـ ، دار القلم ، دمشق – سوريا .

١٢- علماء ومفكرون عرفتهم ، محمد المجدوب ، ط ٤، ١٩٩٢م ، دار الشواف ، الرياض – السعودية .

١٣- الفينومنلوجيا عند هوسرل ، رافع سامح محمد ، ط١ ، ١٩٩١م ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد – العراق .

١٤- القصد بين النظرية والتطبيق في ضوء علم اللغة النصي ، شاذلي سيد عبدالرحمن ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب / جنوب الوادي ، ٢٠١٦م .

١٥- قضايا التقدير النحويّ بين القدماء والمحدثين ، محمود سليمان ياقوت ، ط١ ، ١٩٨٥م ، دار المعارف ، القاهرة – مصر .

١٦- الكشاف ، الزمخشري ، تح وتع : عادل احمد عبدالواحد و علي محمد العوض ، ط١ ، ١٩٩٨م ، مكتبة العبيكان ، الرياض .

١٧- لسان العرب ، ابن منظور ، تح : عبدالله علي الكبير وآخرون ، ط١ ، د.ت ، دار المعارف ، القاهرة – مصر .

١٨- مجمع البيان في تفسير القرآن ، الطبرسي ، تح : هاشم المحلاتي و فضل الله الطبطبائي ، ط٢ ، ١٩٨٨م ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان .

١٩- معارج التفكر ودقائق التدبر ، عبدالرحمن حسن حبنكة ، ط١ ، ٢٠٠٢م ، دار القلم ، دمشق – سوريا .

٢٠- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مجدي وهبة وكامل المهندس ، ط٢ ، ١٩٨٤م ، مكتبة لبنان ، بيروت – لبنان .

٢١- الميزان في تفسير القرآن ، الطباطبائي ، ط١ ، ١٩٩٧م ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت – لبنان .